Journal of Yarmouk Volume (22) Issue (1) May (2024)

ISSN 2075-2954 (Print)
Journal of Yarmouk available online at
https://www.iasj.net/iasj/journal/239/issues
مجلة اليرموك تصدرها كلية اليرموك الجامعة

بعض المبالغات والعادات والتقاليد في الهند والصين من خلال رحلة سليمان السيرافي (انموذجاً) .

م. م. وعد سنكاو احمد القرة غولي
مديرية تربية كركوك
M.M.waad sangaw Ahmed Al- Qara Ghuli
Directorate of Education Kirkuk
Snkawwd@gmail.com

Abstract
Geographic travelers are considered the basis of scientific material material for the countries they visit, as during their traveis they record information about the cities and their exaggerated manifestations, customs and traditions, since the trip undertaken by our historian Suleiman Al- Sirafi to the countries he visited are countries that are not devoid of exaggerated acpests in the narration of narratives, as he transferred some of his narratives from people in that country and perhaps these people have exaggerated in their stories about him, driven by their interests or their love for their countries, in order to give them akind of sanctity and imagination, especially since this trip is one of the first geographical trips to those countries that he undertook in the first half of the third century AH- first half From the ninth country AD, the journey demonstrated Seraphic familiarity with customs and traditions of those countries represented by India and china . Same exaggerations, customs and traditions in lndia and china through the journey of Suleiman the Seraph (A model) .

الملخص:

يُعد الرحالة الجغرافيون هم اساس المادة العلمية للبلدان التي يزورونها اذ برحلاتهم تدون المعلومات عن المدن وما فيها من مظاهر اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وحضارية، وما يرافقها من مظاهر المبالغة والعادات والتقاليد كون الرحلة التي قام بها مؤرخنا سليمان السيرافي الى البلدان التي زارها هي بلدان لا تخلو من مظاهر المبالغة في سرد الروايات كونه نقل بعض مروياته من اشخاص في تلك البلاد وربما هؤلاء الاشخاص قد بالغوا في رواياتهم له تدفعهم في ذلك مصالحهم او حبهم لبلدانهم لإضفاء عليها نوعاً من القدسية والخيال وخصوصاً ان رحلته هذه تعد من اولى الرحلات الجغرافية الى تلك البلدان التي قام بها في النصف الاول من القرن الثالث الهجري/النصف الاول من القرن التاسع الميلادي اذ اوضحت الرحلة المام سليمان بعادات وتقاليد تلك البلدان اذ زار السيرافي الهند وما رافقها من مبالغات حول البحار وعظمة الاسماك وذكر الديانات وهو ان يقوم الرجل بحرق رأسه وهو يمشي مستنداً الى عادات وتقاليد اقتبسوها من اسلافهم، اضافة الى عادات وتقاليد صينية المتمثلة بطريقة الموت عندهم وهو اذا مات الملك عندهم وضعوه على عربه ويطوفون به ويقدمون له الطعام والشراب لمدة معينة من الزمن، وكذلك اذا بغى وتجبر الملك على الشعب ان يقبض عليه ويقتله ثم يطبخه ويأكلونه، اضافة الى دور الملوك في اقتناء الخصيان ويقومون بتربيتهم لأغراض الخدمة . **الكلمات المفتاحية: سليمان السيرافي – المبالغات – الهند – الصين – العادات والتقاليد .**

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه الكريم والطاهر الامين وعلى ازواجه وصحابته والتابعين الغر الميامين وعلى من صلى علية الى يوم الدين تعد الرحالات الجغرافية للرحالة من اخطر المراحل التي يمرون بها، وذلك لما يواجهونه من اهوال البحار ومخاطر الطرق وهمجية الاقوام التي يمرون بها لذا كان لزاماً عليهم ان يحترسوا من هذه الاخطار وكانت اغلب هذه الرحلات في بادئ الامر لأغراض التجارة ومبادلة سلعهم مع سلع تلك البلدان وعن طريق التجارة كان العرب يسجلون ملاحظاتهم عن تلك البلدان سواءً من الجانب الاجتماعي المتمثل بطريقة لبسهم او من وصف

المظاهر الحضارية لبلدان الهند والصين من حيث القصور والاسوار والابراج، اما الموضوع الذي تمت دراسته من سيرة مؤرخنا سليمان السيرافي هو جوانب المبالغة والعادات والتقاليد المتبعة في تلك البلدان التي زارها كون بقية الجوانب المتمثلة بالحضارية والاجتماعية والاقتصادية قد تمت دراستها وتم تقسيم البحث الى فقرات تمثلت **الفقرة الاولى:** ومضات عن سيرة مؤرخنا السيرافي، وكيف بدأ رحلته التي كانت في ٢٣٧هـ/٨٥١م الذي سافر مراراً بغرض التجارة الى الهند والصين وهو من بلاد فارس وقد أبحر من سيراف الى الخليج العربي، ومن هناك الى ساحل المليبار اما **الفقرة الثانية:** فقد شملت المبالغات في رحلته الى الهند ان رجلاً اسمه أبو حبيش، الذي عاش من العمر مائتين وخمسين سنة وعاش في منطقة في البحر بين بلاد الهند والسند، فرأى أبو حبيش رجلاً اخر اسمه الحكيم السواح الذي جاء به الى البحر وروّاه سمكة كبيرة مثل الشراع، اسمها الوال اذا رفعت رأسها عن الماء فتراه كالشيء العظيم، وربما اذا نفخت الماء من فيّها فيكون كالمنارة العظيمة، ومن مبالغاتهم ايضاً اذا أراد أحد منهم أن يتزوج لم يزوج إلّا بقحف رأس رجل من أعدائهم، فإذا قتل اثنين زوج اثنتين، وكذلك ان قتل خمسين زوج خمسين امراة بخمسين قحفاً . **اما الفقرة الثانية:** فقد شملت المبالغات والخرافات في الصين ومنها، ومن مبالغات اهل الصين انه إذا مات الرجل منهم لم يدفن إلّا في اليوم الذي مات فيه من قابل العام، ويجعلونه في تابوت، ويخلّونه في منازلهم ويجعلون عليه النّورة، فتمصّ ماءه ويبقى، والملوك يجعلون في الصبر والكافور، ويبكون على موتاهم ثلاث سنين . **اما الفقرة الثالثة:** هي تشمل بعض العادات والتقاليد في الهند التي منها جودة الملابس وزينتها في الصين اذ يذكر احد تجار العرب ان احد خصي كان يلبس خمسة اقبية وخال ظهرة يبدو واضحاً ومن العادات وتقاليد اهل الصين انهم في فترة الربيع يخرجون من اجل جمع دمامل المسك التي تحملها الضباء وتلقيها بعد حكها بالصخور من اجل بيعها او اهدائها لملوكهم **اما الفقرة الرابعة:** فهي تشمل العادات والتقاليد في الهند، والتي منها انه لا يجوز للملك عندهم ان يشرب الخمر ولا يجوز له دخول الملاهي ولا يأكلون الخل لأنه يعد شراباً، ومن العادات الاخرى المتبعة في الهند للذي يسرق والسرقة في القليل منه والكثير القتل، واحياناً اذا سرق السارق فلساً فما فوقه أخذت خشبة طويلة فيحدّد طرفها ثم يُعقد عليها على أسته حتى تخرج من حلقه فيموت .

اولاً: ومضات عن سيرة سليمان التاجر السيرافي:

ان سليمان التاجر هو من قدامى الرحالة الذين عرفوا برحلاتهم الغريبه ورواياتهم الطريفة عن البلدان التي زاروها، ونحن لا نعرف شيئا عن حياته، سوى ما وصل إلينا من الرواية التي ذكرها عن رحلته، وهي ترجع في الغالب الى حوالي سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م وقد سافر مرارا بغرض التجارة الى الهند والصين[١]، وهو من بلاد فارس وقد أبحر من سيراف[٢] الى الخليج العربي، ومن هناك الى ساحل المليبار[٣]، ثم مر بمضيق شمال جزيرة سيلان[٤] ثم عبر خليج البنغال[٥] فوصل جزيرة لنجبالوس احدى جزر نيكوبار في الهند ثم تقدم حتى وصل الى ساحل الملايو الغربي، ومر هناك الى جزيرة تيومن الواقعة الى الجنوب الغربي من ملقا ومنها الى راس القديس يعقوب قرب سايجون الصينية ومن هناك الى جزيرة هاينان فعبر المضيق الذي يفصلها عن أرض الصين ليصل الى ميناء خانفو[٦] أو كانتون الحديثة بالصين[٧]وبهذا الوصف والتحليل يتبين لنا ان سليمان التاجر هو رحالة فارسي عاش خلال فترة القرن الثالث الهجري وزار العديد من البلدان مثل الهند والصين وعاين خلال رحلته العديد من العادات والتقاليد والاوصاف لتلك البلدان

ثانياً– المبالغات في رحلة السيرافي في الهند :

المبالغة لغةً: لتبيان معنى المبالغة لغوياً لا بد من الاطلاع على بعض المعاني التي وردت في المعاجم وكتب اللغة للجذر اللغوي بلغ، والمبالغة من بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً وصل وانتهى وتبلّغ بالشيء وصل إلى مراده والبلاغ من يتبلّغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب، والبلاغ ما يبلغك والبلاغ الكفاية تقول له في هذا بلاغ وبُلغة وتبلغ أي كفاية وبلّغت الرسالة والبلاغ[٨]، الابلاغ أنها إفراط في وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة وهذا النوع أعني الإغراق فوق المبالغة ولكنه دون الغلو وهو في الاصطلاح إفراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة وقل من فرق بينهما وغالب الناس عندهم المبالغة والإغراق والغلو نوع واحد[٩] .

والمبالغة اصطلاحاً: تعني تمام القدرة واستحكامها ومعنى الملك في اللغة تمام القدرة فما كان مما يقال فيه ملك سمي الملك وما نالته القدرة مما يقال فيه مالك واصل هذا من قولهم ملكت العجين املكه إذا بالغت في عجنه ومن هذا قيل في التزويج شهدنا إملاك فلان أي شهدنا عقد أمر نكاحه وتشديده، وهناك علاقة بين المبالغة وفن التشبيه والعرب تشبه على أربعة أضرب وهي التشبيه المفرط والمصيب والمقارب والبعيد، والتشبيه المفرط والمتجاوز قولهم للسخي هو كالبحر وللشجاع هو كالأسد وللشريف سما حتى بلغ النجم[١٠] ومن المبالغات التي وجدتها في رحلة سليمان السيرافي ان كان يستمع الى البعض من التجار والعامة فيدونها في رحلته التي ابتدئها من بحر الهند ومنها ان رجلاً اسمه أبو حبيش، الذي عاش من العمر مائتين وخمسين سنة وكان في بعض السنين نزل في الماغوز التي هي منطقة في البحر بين بلاد الهند والسند، فرأى أبو حبيش رجلاً

اخر اسمه الحكيم السواح الذي جاء به الى البحر وروّاه سمكة كبيرة مثل الشراع[١١]، اسمها الوال اذا رفعت رأسها عن الماء فتراه كالشيء العظيم، وربما اذا نفخت الماء من فيّها فيكون كالمنارة العظيمة، فاذا سكن البحر اجتمع السمك فحوته بذنبها، ثم تفتح فمها فيرى السمك في جوفها يغيض كأنه يغيض في بئر، والمراكب التي تكون في البحر تخافها فهم يضربون بالليل بنواقيس مثل نواقيس النصارى مخافة أن تتكئ على المركب فتغرقه وذكر ايضاً انه اخرجنا منها أيضا سمكة من جنسها، ثم شققنا بطن الثانية فإذا في بطنها مثلها، وكل هذا حيّ يضطرب يشبه بعضه بعضا في الصورة[١٢]، ومن المبالغات التي نقلها لنا سليمان السيرافي ايضاً انه في هذا البحر أيضا سمكة يحكى ان وجهها وجه الانسان تطير فوق الماء، واسم هذا السمك الميج وسمك آخر من تحت الماء يرصده حتى إذا سقط ابتلعه ويسمى هذا السمك العنقتوس والسمك كله يأكل بعضه بعضاً[١٣] .

ومن المبالغات التي ذكرها السيرافي ان في جزر الهند وخصوصاً جزيرة يقال لها النيان فيها ذهب كثير واكلهم النارجيل[١٤]، وبه يتأدمون ويدهنون، واذا أراد أحد منهم أن يتزوج لم يزوج إلّا بقحف رأس رجل من أعدائهم، فإذا قتل اثنين زوج اثنتين، وكذلك ان قتل خمسين زوج خمسين امراة بخمسين قحفاً، وسبب ذلك أن أعدائهم كثير، فمن أقدم على القتل أكثر كان رغبتهم فيه أوفر[١٥] ومن هذا النص تظهر لنا المبالغة فيه وذلك لكون الانسان حتى ولو قتل الكثير من البشر من اجل الزواج لكن ليس له القدرة على اعالة خمسين امرأة ويضمن لها المأكل والمشرب والسكن وخصوصاً انهم كانو في تلك الفترة يعتمدون على الصيد ولم الثماروممن المبالغات التي ذكرها السيرافي ايضاً انه في البحر الهند جزيرة يقال لها اندامان[١٦] أهلها يأكلون الناس أحياء، وهم سود مفلفلوا الشعور مناكير الوجوه والأعين، طوال الأرجل، فرج أحدهم مثل الذراع عراة ليست لهم قوارب، ولو كانت لهم لأكلوا كل من مرّ بهم، وربما أبطأت المراكب في البحر وتأخر بهم المسير بسبب الريح فينفذ ما في المراكب من الماء فيقربون إلى هؤلاء فيستقون الماء، وربما أصابوا منهم ويفلتون أكثر[١٧]، وذكروا: أن في جزيرة يقال له ملجان[١٨] ، ان في ناحية البحر سمكاً صغيراً طياراً يطير على وجه الماء يسمى جراد الماء وذكروا ان بناحية البحر سمكاً يخرج حتى يصعد على النارجيل فيشرب ما في النارجيل من الماء ثم يعود إلى البحر[١٩] .

وفي هذه الرواية التي ذكرت للسيرافي فيها نوع من المبالغة كون السمك لا يستطيع الطيران وتسلق الاشجار وشرب ماء النارجيل منها لكنه، دوّنها باعتبارها احدى قصص وثقافات الشعوب التي زارهاوذكر السيرافي بعض المبالغات في الهند ومنها ان الطباخ اذا طبخ للملك أرز ثمّ وضع بين يديه على ورق الموز، وينتدب من أصحابه الثلاثمائة والأربعمائة باختيارهم لأنفسهم لا بإكراه من الملك لهم، فيعطيهم الملك من ذلك الأرز بعد أن يأكل منه، ويتقرّب رجل رجل منهم فيأخذ منه شيئاً يسيرا فيأكله، فيلزم كلّ من أكل من هذا الأرز اذا مات الملك أو قتل أن يحرقوا أنفسهم بالنّار عن آخرهم في اليوم الذي مات فيه لا يتأخّرون عنه حتّى لا يبقى منهم عين ولا أثر، وإذا عزم الرّجل على إحراق نفسه صار إلى باب الملك فاستأذن، ثمّ دار في الأسواق وقد أجّجت له النّار في حطب جزل كثير عليها رجال يقومون بإيقادها حتّى تصير كالعقيق حرارة والتهاباً[٢٠]، ثم يعدوا، وبين يديه الصنوج[٢١] دائراً في الأسواق، وقد احتاشه أهله وقرابته، وبعضهم يضع على رأسه إكليلاً من الريحان يملؤه جمراً، ويصب عليه السندروس، وهو مع النّار كالنفط، ويمشي وهامته تحترق وروائح لحم رأسه تفوح، وهو لا يتغتّر في مشيته، ولا يظهر منه جزع، حتّى يأتي النّار فيثبت فيها فيصير رماداً، فذكر بعض من حضر رجلا منهم يريد دخول النّار، انّه لما اشرف عليها أخذ الخنجر فوضعه على رأس فؤاده فشقّه بيده إلى عانته[٢٢] ثمّ أدخل يده اليسرى فقبض على كبده، فجذب منها ما تهيأ له، وهو يتكلّم ثمّ قطع بالخنجر منها قطعة فدفعها إلى اخيه استهانة بالموت وصبراً على الألم، ثم زجّ بنفسه في النّار[٢٣] . وذكر ابو زيد السيرافي أن قوماً من الهنود في جبال هذه الناحية قوما من الهند سبيلهم سبيل الكنيفية والجليدية وهي طائفة الدراويش في الهند يسود بينهم الجهل ويزاحمون انفسهم مع أهل ملتهم من الساحل، وانه لا يزال رجل من أهل الساحل يدخل الجبل فيستدعي من يصابره على التمثيل بنفسه، وكذلك أهل الجبل لأهل الساحل، وأنّ رجلا من أهل الجبال صار إلى أهل الساحل لمثل ذلك، فاجتمع إليه النّاس بين ناظر ومتعصب، فطالب أهل العصبية بأن يصنعوا مثل ما يصنع فإن عجزوا عنه اعترفوا بالغلبة[٢٤]، وانه جلس عند رأس منابت القنا[٢٥] وأمرهم باجتذاب قناة من تلك القنا وسبيله سبيل القصب في التفافه، وأصله مثل الدّن وأغلظ، واذا حطّ رأس القناة استجابت حتّى تقارب الأرض، فإذا تركت عادت إلى حالها، فجذب رأس قناة غليظة حتّى قربت منه ثمّ شدّ بها ضفائرهُ شدّاً وثيقاً، ثمّ أخذ الخنجر وهو كالنّار في سرعتها، فقال لهم: انّي قاطع رأسي به فإذا بان عن بدني فاطلقوه من ساعته[٢٦]، فسأضحك اذا عادت القناة برأسي إلى موضعها، وتسمعوا قهقهة يسيرة، فعجز أهل السّاحل عن أن يصنعوا مثل ذلك ولقد أخبرنا بهذا من لا نتّهمه وهو اليوم متعارف اذ كانت هذه البلاد من الهند تقرب من بلاد العرب، وأخبارها متصلة بهم في كل وقت، ومن شأنهم اذا أخذت السّنّ من رجالهم ونساءهم وضعفت حواسهم أن يطالب من صار في هذه الحال منهم أهله بطرحه في النّار أو تغريقه في الماء ثقة منهم بالرجعة، وسبيل موتاهم الاحراق[٢٧] .

ثانياً: المبالغات والخرافات[٢٨] خلال رحلته الى الصين: ومن مبالغات اهل الصين انه إذا مات الرجل منهم لم يدفن إلّا في اليوم الذي مات فيه من قابل العام، ويجعلونه في تابوت، ويخلّونه في منازلهم ويجعلون عليه النّورة، فتمصّ ماءه ويبقى، والملوك يجعلون في الصبر والكافور، ويبكون

على موتاهم ثلاث سنين، ومن لم يبك ضرب بالخشب، كذلك النساء والرّجال، ويقولون: انه لم يحزنك ميّتك، ويدفنون في ضريح كضريح العرب، ولا يقطعون عنه الطّعام، ويزعمون انه يأكل ويشرب، وذلك انّهم يضعون عنده الطعام بالليل فيصبحون ولا يجدون منه شيئا، فيقولون قد أكل، ولا يزالون في البكاء والاطعام ما بقى الميت في منزلهم، فيفتقرون على موتاهم، فلا يبقى لهم نقد ولا ضيعة إلا أنفقوه عليه، وقد كانوا قبل هذا يدفنون الملك وما ملك من آلة بيته من ثياب ومناطق، ومناطقهم تبلغ مالاً كثيراً، وقد تركوا ذلك الآن، وذلك انه نبش بعض موتاهم وأخذ ما كان معه[٢٩] .وهذه احدى المبالغات التي ذكرها السيرافي حول زيارته للصين ومشاهدته طريقة دفن موتاهم وكيفية انهم يضعون لهم الطعام والشراب ويأكلونه ولا يبقى منه شيئاً، هذا الامر فيه نوع من المبالغة اذ لم نعرف ان ميتاً اكل وشرب بعد الموت وفي بلاد الصين ايضاً ربما يصبح الملك ظالماً فيثور الشعب ضده فيذبحونه ويأكلونه، وكل من قتل بالسيف أكل الصينيون لحمه وأهل الصين اذا أرادوا التزويج تهانئوا بينهم، ثم تهادوا، ثم يشهرون التزويج بالطبول، وهدّيتهم من المال على قدر الامكان واذا احضر الرجل منهم امراة فبغت، فعليها وعلى الباغي بها القتل في جميع بلاد الهند، وإن زنى رجل بامرأة اغتصبها نفسها قتل الرجل وحده فان فجر بامرأة على رضى منها قتلا جميعا[٣٠] .

ثالثاً: بعض العادات والتقاليد في الصين:

ان بعض الصبيان يتم اخصائهم فمنهم من قد سبي من الأطراف فيخصى، ومنهم من يخصيه والده من أهل الصّين ويهديه إلى الملك تقرّباً به إليه، من اجل ان يقوم بأمور الملك في خاصّته وخزائنه ومنهم من يتوجه إلى مدينة خانفو التي يقصدها تجار العرب لشراء البضائع والخدم[٣١]، ومن سننهم في ركوب هؤلاء الخدم وملوك سائر المدن إذا ركبوا: أن يتقدمهم رجال بخشب تشبه النواقيس يضربون بها، فيسمعه من بعده فلا يقف أحد من الرعية في ذلك الطريق الذي يريد الخادم أو الملك أن يمرّ فيه، ومن كان على باب دار دخلها وأغلق الباب دونه، حتّى يكون اجتياز الخادم أو الملك على تلك المدينة، وليس في طريقه أحد من العامّة ترهيباً وتجبراً، ولئلا يكثر نظر العامة إليهم ولا يمتدّ لسان احد إلى الكلام معهم[٣٢] ويذكر السيرافي ان من عادات وتقاليد اهل الصين هو لبس اكثر من ثوب من الملابس الحريرية الناعمة اذ يذكر احد التجار العرب في ميناء خانفو ان ملك الصين ارسل احد خصيانه الى الميناء من اجل شراء ما يحتاجونه من الامتعة الواردة من بلاد العرب فرأيت على صدره خالاً يشفّ من تحت ثياب حرير كانت عليه، فقدّر أنّه قد ضاعف بين ثوبين منها فلما ألحّ في النّظر، قال له الخصي أراك تديم النظر إلي صدري فلم ذلك، فقال له الرجل: عجبت من خال يشفّ من تحت هذه الثياب، فضحك الخصيّ ثم طرح كمّ قميصه إلى الرجل، وقال له: أعدد ما عليّ منها، فوجدها خمسة أقبية بعضها فوق بعض والخال يشفّ من تحتها[٣٣]، وهذا ان دل على شيء فأنه يدل على حذاقة اهل الصين وبراعتهم في صناعة الملابس الحريرية الناعمة ومن عادات وتقاليد اهل الصين انهم يجمعون دمامل المسك[٣٤] من الضباء التي ترعى في هضبة التبت من اجل الاستفادة منها اقتصادياً او اهدائها لملوكهم فيخرج رجال التبت الصينية في طلب المسك، ولهم به معرفة فإذا وجدوه التقطوه وجمعوه وأودعوه النوافج وحمل الى ملوكهم، وهو نهاية المسك إذ كان قد أدرك في نوافجه على حيوانه، وصار له فضل على غيره من المسك كفضل ما يدرك من الثمار في شجرة على سائر ما ينزع منه قبل ادراكه، وغير هذا من المسك فانّما يصاد بالشرك المنصوب أو السّهام[٣٥]، وربما تقطع الدمامل عن الظبي قبل ادراك المسك فيها، وعلى أنّه اذا قطع عن ظبائه كان كريه الرائحة مدّة من المدد حتّى يجفّ على الأيام الطويلة، وكلّما جف استحال حتى يصير مسكا، وظبي المسك كسائر الظباء عندنا في القدّ واللّون، ودقة القوائم، وافتراق الأظلاف، وانتصاب القرون، وانعطافها، ولها نابان دقيقان أبيضان في الفكّين قائمان في وجه الظبي، طول كلّ واحد منهما مقدار فتر، ودونه على هيئة ناب[٣٦]ومن العادات والتقاليد المتوارثة لدى ملوك الصين عند زيارة العامة لهم فأنهم يضعون جرس كعلامة وهو ما يسمونه بالدّرا ويكون في اعلى رأس ملك تلك المدينة مربوط بخيط ماد على ظهر الطريق للعامة كافة، وبين الملك وبينه نحو من فرسخ، فاذا حرّك الخيط الممدود أدنى حركة تحرّك الجرس، فمن كانت له ظلامة حرّك هذا الخيط فيتحرك الجرس منه على رأس الملك فيؤذن له بالدخول حتى ينهي حاله بنفسه ويشرح ظلامته، وجميع البلاد فيها مثل ذلك[٣٧]، ومن عادات وتقاليد اهل الصين في حالة السفر انه من أراد سفرا من بعض المدن الى الاخرى أخذ كتابين من الملك ومن الخصّي، أما كتاب الملك فهو خاص بالطريق باسم الرجل واسم من معه وكم عمره وعمر من معه، ومن أي قبيلة هو، وجميع من ببلاد الصين من أهلها ومن العرب وغيرهم لابد لهم أن ينتموا الى شيء يعرفون به ويأكل ويشرب ويبات من دون ان يصرف شيئاً[٣٨]، وأما كتاب الخصّي فهو خاص بالمال وما معه من المتاع، وذلك لأنّ في طريقهم مسالح ينظرون في الكتابين، فإذا ورد عليهم الوارد كتبوا[٣٩] ، ورد علينا فلان بن فلان الفلاني في يوم كذا، وشهر كذا وسنة كذا ومعه كذا، لئلا يذهب من مال الرجل ولا من متاعه شيء ضياعاً، فمتى ما ذهب منه شئ أو مات، علم كيف ذهب، وردّ عليه أو على ورثته من بعده[٤٠] .

رابعاً: بعض العادات والتقاليد في الهند:

ان من عادات وتقاليد اهل الهند في دفن ملوكهم هو ان من مات من ملوكهم ببلاد سرنديب[٤١] صيّر على عجله قريبا من الأرض وعلّق في مؤخرها مستلقياً على قفاه يجر شعر رأسه التراب عن الأرض، وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه، وتنادي: أيها الناس هذا ملككم، بالأمس قد ملككم وكان أمره نافذا فيكم، وقد صار الى ما ترون من ترك الدنيا، وأخذ روحه ملك الموت، فلا تغترّوا بالحياة بعده، وكلام نحو هذا ثلاثة أيام، ثم يهيّأ له الصندل والكافور والزعفران فيحرق به، ثم يرمي برماده في الريح، والهند كلّهم يحرقون موتاهم بالنار[٤٢]ومن عادات وتقاليد اهل الهند حول دعواهم بالقتل فيقال للمدعي أتحامله النار، فيقول: نعم، فتحمى حديدة إحماء شديدا حتى يظهر النار فيها، ثم يقال له: إبسط يدك فتوضع على يده سبع ورقات من ورق شجر لهم، ثم توضع على يده الحديدة فوق الورق ثم يمشي بها مقبلاً ومدبراً حتى يلقيها عن يده فيؤتى بكيس من جلود فيدخل يده فيه، ثم يختم بختم السلطان، فإذا كان بعد ثلاث أتي بأرز غير مقشّر فيقال له افركه، فان لم يكن في يده أثر فقد فلح ولا قتل عليه[٤٣]ويغرّم الذي ادعى عليه مناً من ذهب يقبضه السلطان لنفسه، وربّما اغلوا الماء في قدر حديد أو نحاس حتى لا يقدر أحد يدنوا منه ثم يطرح فيه خاتم حديد ويقال ادخل يدك فتناول الخاتم، وقد رأيت من ادخل يده وأخرجها صحيحة، ويغرم المدّعي أيضا منا من ذهب[٤٤] ومن التقاليد الاخرى لأهل الهند انهم يحرمون شرب الخمر وحضور الملاهي بالنسبة لملوكهم ولا يتخذونها، ولا يشربون الشّراب ولا يأكلون الخلّ لأنّه من الشراب، وليس لذلك دين ولكن أنفه، ويقولون: أيّ ملك شرب الشراب فليس بملك، وذلك أنّ حولهم ملوكا يقاتلونهم، فيقولون كيف يدبّر أمر ملكهُ وهو سكران[٤٥] ومن العادات المتبعة في الهند للذي يسرق والسرقة في القليل منه والكثير القتل، واحياناً اذا سرق السارق فلساً فما فوقه أخذت خشبة طويلة فيحدّد طرفها ثم يُعقد عليها على أسته حتى تخرج من حلقه فيموت[٤٦] .

الخاتمة

ان النتائج المستخلصة من هذا البحث هي كما يأتي :

١- ان الكثير من الرحالة العرب كان لهم دور بارز في وصف البلدان التي كانوا يزورونها اذ لولا جهودهم لما وصل الينا هذا الارث والوصف المميز لجغرافية الهند والصين .

٢- تنقل سليمان السيرافي من مرفأ الى اخر وتحمل الكثير من المتاعب والصعاب ومخاطر الطريق من اجل ان يتم مهمته وهو وصف مناطق الهند والصين واجزاء من البلاد العربية .

٣- لم تكن رحلة مؤرخنا السيرافي تخلو من جوانب المبالغة وخصوصاً في اراضي الصين والهند كون هذه البلدان تحتوي على شعوب مختلفة الاجناس والقوميات وتكثر فيها الديانات .

٤- اعتمد السيرافي في بعض معلوماته على عدد من الاشخاص اي نقلها عن طريق الاستماع وفي وهذا الامر تكثر امور المبالغة والخيال وخصوصاً في المجال الديني .

٥- نقل السيرافي الكثير من عادات وتقاليد البلدان التي زارها المتمثلة بعدم شرف الخمر لدى ملوك الصين وعدم حضورهم الحفلات والمناسبات التي لاتليق بمكانتهم الدينية والسياسية .

٦- ذكر السيرافي بعض الاهوال والمبالغات ودونها في رحلته وهي ان الاسماك التي وصف بأنها عملاقة الحجم حتى المراكب تخشاها ليلاً ولم يقل عنها انها الحوت كون الحوت كان معروفاً عندهم لورود ذكره في القرآن الكريم .

٧- وصف العديد من المظاهر الهند والصين وخصوصاً المتعلقة بملوكهم اذ ان ملوكهم عند الموت اذ عند موت احدهم ان يوضع عنده الطعام والشراب وان الطعام يؤكل يومياً ويدفن معه عدد من الوزراء وحسب رغبتهم .

الهوامش:

(١) سيراف: بكسر أوّله، وآخره فاء، في الإقليم الثالث، طولها تسع وتسعون درجة ونصف، وعرضها تسع وعشرون درجة ونصف، ذكر الفرس في كتابهم المسمى بالابستاق، وهو عندهم بمثابة التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى: أن كيكاوس لما حدّث نفسه بصعود السماء صعد فلمّا غاب عن عيون الناس أمر الله الريح بخذلانه فسقط بسيراف فقال: اسقوني ماء ولبنا، فسقوه ذلك بذلك المكان فسمّي بذلك لأن شير هو اللبن وآب هو الماء، ثمّ عرّبت فقلبت الشين إلى السين والباء إلى الفاء فقيل سيراف: وهي مدينة جليلة على ساحل بحر فارس كانت قديما فرضة الهند . ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) معجم البلدان، دار صادر، ط٢، (بيروت/١٩٩٥م)، ج٣، ص٢٩٤ .

(٢) المليبار: اقليم من الهند كبير وعظيم يشتمل على مدن كثيرة، منها: فاكنور ومنجرور ودهسل، يجلب منها الفلفل إلى جميع الدنيا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٩٦ .

(٣) سيلان: وهي من اشهر جزر بحر الهند التي تكثر فيها المدن . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٦ .

(٤) خليج البنغال: وهو احد خلجان القارة الهندية، ينتابه سنويًّا حوالي عشرة أعاصير يبدأ موسمها في يونيو وينتهي في نوفمبر. وهي تكثر بصفة خاصة في يوليو وأغسطس وتبلغ نسبة مجموع ما يحدث فيهما معًا حوالي ٣٧٪ من المتوسط السنوي، وتنعدم تقريبًا في يناير وفبراير ومارس . ينظر: شرف، عبد العزيز طريح، الجغرافيا المناخية والنباتية، دار المعرفة الجامعية، ط١١، ص١٦٤ .

(٥) خانفو: وهي من أعظم مدن الصين الطريق اليها مسيرة أربعة أيام في البحر وعشرين يوماً في البر وبها ملك مهاب له مملكة شامخة وفيلة كثيرة وأجناد وأسلحة وأهلها يأكلون الأرز والألبان والنارجيل وقصب السكر وهي على خور تطلع فيه المراكب مسافة شهرين إلى مدينة باجه وهي مدينة البغبوغ والبغبوغ هو ملك الصين بأجمعها وإلى مدينته ينتهي مسافروا بلاد الغرب وبها جميع الفواكه والبقول والحنطة والشعير والأرز ولا يوجد بجميع بلاد الهند والصين عنب ولا تين البتة وإنما يوجد عندهم ثمار شجر يسمى الشكي والبركى وأكثر ما يكونان ببلاد الفلفل وهو شجر له ساق غليظة وورق شبيه بورق الكرنب أخضر ما هو وله ثمر طول الثمرة أربعة أشبار مستدير شبيه بالدلاع له قشرة حمراء . ينظر: الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، (بيروت ، ١٤٠٩هـ)، ج١ ، ص٨٤ .

(٦) النارجيل: وهو جوز الهند وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنا وأعجبها أمرا، وشجره شبه شجرة النخل لا فرق بينهما إلا أنّ هذه تثمر جوزا، وتلك تثمر تمرا، وجوزها يشبه رأس ابن آدم لان فيها شبه العينين والفم وداخلها شبه الدّماغ إذا كانت خضراء، وعليها ليف شبه الشعر وهم يصنعون منه حبالا يخيطون بها المراكب عوضا عن مسامير الحديد، ويصنعون منه الحبال للمراكب . ينظر: ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد،(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، (الرباط/١٤١٧هـ)، ج٢، ص١٢٧-١٢٨ .

(٧) اندامان: وهي جزيرة كبيرة في عرض البحر زارها السيرافي ووجد بها اناس مفلفلو الشعر . ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج١ ص٦٢ .

(٨) ملجان: جزيرة يقال له ملجان فيما بين سرنديب من بلاد الهند في شرقي البحر . ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٣٠ .

(٩) الصنوج: صفيحة مُدورة من صفر يضْرب بهَا على أُخْرَى وصفائح صفر صَغِيرَة مستديرة تثبت فِي أَطْرَاف الدُّف أَو فِي أَصَابِع الراقص يدق بهَا عِنْد الطَّرب في الاسواق او جمع مفرده صنج، من الآلات الموسيقية مكون من قطعتين تقرعان ببعضهما كما في العربية صنج وسنج . ينظر: ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي، (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، (أبو ظبي
١٤٢٣هـ)، ج٣ ص٦٤ .

(١٠) منابت القنا: وهو الرماد الذي يبقى بعد احتراق النار وعند هبوب الرياح فأنه يحتك مع بعضه فيولد حرارة تحرق مساحة ت قدر بخمسين فرسخاً . ينظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود،(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، د. ت)، ج١، ص١٢٤ .

(١١) الخرافات: هي الحدِيث المستملَح من الكذِب، وخرافة هُو رجل من بني عذرة أَو من جهينَة اختطفته الْجنّ ثمَّ رَجعَ إِلَى قومه فَكَانَ يحدث بِأَحَادِيث يُعْجَبُ مِنْهَا فَجرى على ألسن النّاس. ينظر: ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، المخصص، تحقيق، خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م)، ج٤، ص٥ .

(١٢) دمامل المسك: هي دمامل تكون عند سرة الغزلان تتكون بها روائح المسك وعند نضوجها تحك سررها بالصخور فتسقط السرر هنالك فيأتي إليه الجلابون في وقت من السنة قد عرفوه فيلتقطونها وهو مباحاً لهم . ينظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، البلدان، دار الكتب العلمية، (بيروت/ ١٤٢٢هـ)، ج١ ، ص٢٠٩ .

(١٣) سرنديب: هي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند، طولها ثمانون فرسخا في مثلها، وهي جزيرة تشرع إلى بحر هركند وبحر الأعباب، وفي سرنديب الجبل الذي هبط عليه آدم، عليه السلام، ويقال: إن الياقوت الأحمر يوجد على هذه الجبال تحدره السيول والأمطار إلى الحضيض فيلقط، وفيه يوجد الماس أيضا، ومنه يجلب العود فيما قيل، وفيها نبت طيب الريح لا يوجد بغيرها، ولها ثلاثة ملوك كلّ واحد منهم

عاص على صاحبه، وإذا مات ملكهم الأكبر قطع أربع قطع وجعل كلّ قطعة في صندوق من الصندل والعود فيحرقونه بالنار وامرأته أيضا تتهافت بنفسها على النار حتى تحترق معه أيضا . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٥ .

هوامش البحث

١- السيرافي، أبو زيد حسن بن يزيد، (ت، بعد ٣٣٠هـ/٩٤١م)، رحلة السيرافي، المجمع الثقافي، (أبو ظبي، ١٩٩٩م)، ج١، ص٦ .

٢- السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦-٧ .

٣- ابن علي الواحدي، إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس، (ت ٤٦٨هـ/١٠٦٧م)، المحيط في اللغة، تحقيق، الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، (بيروت / ١٤١٤هـ -١٩٩٤م)، ج٥، ص٨٨ .

٤- الأزراري، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال (بيروت/ ١٩٨٧م)، ج٢، ص١٢ .

٥- الزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن السري بن سهل (ت، ٣١١هـ/ ٩٢٣م): معاني القران واعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)،ج١، ص ١٩١ .

٦- السيرافي ، رحلة السيرافي، ج١ ص١٥ .

٧- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي،(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، اسعد داغر، دار الهجرة، (قم/ ١٤٠٩هـ)، ج١، ص١٢٤ .

٨- السيرافي ، رحلة السيرافي، ج١ ص١٦ .

٩- السيرافي ، رحلة السيرافي، ج١، ص٢٠ .

١٠- السيرافي ، رحلة السيرافي، ج١، ص٢١-٢٢ .

١١- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٣١ .

١٢- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٧٨ .

١٣- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٧٩ .

١٤- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٧٩ .

١٥- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٧٩ .

١٦- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٧٩ .

١٧- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٨٠ .

١٨- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٤٠ .

١٩- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٤٨ .

٢٠- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٥٨ .

٢١- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٥٩ .

٢٢- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٥٩ .

٢٣- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٧٦ .

٢٤- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٧٦ .

٢٥- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص ٤٣ .

٢٦- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص ٤٣ .

٢٧- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص ٤٣ .

٢٨- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص ٤٣ .

٢٩- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص ٤٦ .

٣٠- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص ص٤٦ .

٣١- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٤٦ .

٣٢- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٤٧-٤٨ .

٣٣- السيرافي، رحلة السيرافي، ج١، ص٤٨ .